شرح القصيدة المنفرجة

لأبي الفضل ابن النحوي المتوفى 513 هجري

اشتَدَّي أزمَةٌ تَنفرِجي *** قد آذَنَ لَيلُكِ بالبَلَجِ
و ظَلامُ اللَّيلِ لَهُ سُرُجٌ ***حتّي يَغشَاهُ أبُو السرُجِ
و سَحَابُ الخَيرِ لَهَا مطَرٌ *** فَإِذَا جَاءَ الإبّانُ تَجي
و فَوائِدُ مَولانا جُمَلٌ *** لِسُرُوحِ الأنفُسِ والمُهَجِ
و لَها أرَجٌ مُحيِي أبَدا *** فَاقصُدْ مَحيَا ذاكَ الأرَجِ
فَلَرُبَّمَا فاضَ المحيَا *** بِبحُورِ المَوجِ مِنَ اللُّجَجِ
و الخَلقُ جَميعاً في يَدِهِ *** فَذَوُو سعَةٍ وذَوُو حَرَجِ
و نزُولهُمُ و طُلُوعُهُمُ *** فَعلَى دَرَكٍ وعَلَى دَرَجِ
و مَعائِشُهُم وَعَواقِبُهُم *** لَيستَ في المَشيِ عَلى عِوَجِ
حِكَمٌ نُسِجَت بِيَدٍ حَكَمَت *** ثُمَّ انتَسَجَتُ بالمُنتَسجِ
فَإِذا اقتَصدَت ثُم انعَرَجَت *** فَبمقتَصِدٍ وبِمُنعَرَجِ
شَهِدتَ بِعَجائِبِها حُجَجٌ *** قامَت بالأمْرِ عَلى الحُجَجِ
و رِضاً بِقَضَاءِ اللَهِ حَجىً *** فَعَلَى مَركُوزَتِهِ فَعُجِ
و إذا انفَتَحَت أبوابُ هُدى *** فاعجِل لِخَزائِنِها ولِجِ
و إذا حاوَلتَ نِهايَتَها *** فاحذَر إذ ذاكَ مِنَ العَرَجِ
لِتَكُونَ مِنَ السُبّاقِ إذا *** ما جِئتَ إلى تِلكَ الفُرَجِ
فَهُنَاكَ العَيشُ وبَهجَتُهُ *** فَلِمُبتَهِجٍ ولِمُنتَهِجِ
فَهِجِ الأعمَالَ إذا رَكَدَت *** فَإذا ما هِجتَ إذاً تَهِجِ
و مَعاصِي اللَهِ سَماجَتُها *** تَزدانُ لِذِي الخُلُقِ السَمِجِ
و لِطَاعَتِهِ وَصَباحَتِها *** أنوارُ صَباحٍ مُنبَلِجِ
مَن يَخطِب حُورَ الخُلدِ بها *** يَضفَر بالحُورِ وَبالغُنُجِ
فَكُنِ المَرضِيَّ لَها بِتُقىً *** تَرضَاهُ غَداً وَتَكُونُ نَجِي

و اتلُ القُرآنَ بِقَلبٍ ذِي *** حزَنٍ وَبِصَوتٍ فيهِ شَجِي
و صَلاةُ اللَّيلِ مَسافتُها *** فاذهَب فِيهَا بِالفَهمِ وَجِي
و تَأَمَّلها وَمَعانِيهَا *** تأتِ الفَردَوسَ وَتَنفَرج
و اشرَب تَسنيمَ مَفُجَّرِها *** لا مُمتزِجاً وَبِممتزِجِ
مُدِحَ العَقلُ الآتِيهِ هُدىً *** وهَوىً مُتَوَلٍّ عَنهُ هُجى
و كِتَابُ اللَهِ رِياضَتُهُ *** لِيقُول الخلقِ بِمُندَرِجِ
و خِيارُ الخَلَقِ هُداتُهُمُ *** وَسِوَاهُم مِن هَمَجِ الهَمَجِ
و اذا كُنتَ المِقدَامُ فَلا *** تجزَعْ في الحَربِ مِنَ الرَّهَجِ
و إذا أبصَرت مَنَار هُدىً *** فاظهَر فَرداً فَوقَ الثبَجِ
و إذا اشتاقت نَفسٌ وَجَدَت*** ألَماً بِالشَّوقِ المُعتَلِجِ
و ثَنايا الحَسنا ضاحِكَةً *** وَتَمامُ الضِّحكِ عَلى الفَلَجِ
وعِيابُ الأسرَارِ قدِ اجتَمَعَت *** بأمانَتِها تحَّتَ الشَّرَجِ
و الرِّفقُ يَدُومُ لِصَاحِبِهِ *** وَالخَرقُ يَصيرُ إلى الهَرَجِ
صَلوَاتُ اللَهِ عَلى المَهدِيِّ *** الهادِي الناسِ إلي النَّهَجِ
وأبي بكرٍ في سِيرَتِهِ *** وَلِسَانِ مَقَالَتِهِ اللَهَجِ
وأبي حفصٍ وكَرَامَتِهِ *** في قِصةِ سارِيَةِ الخُلُجِ
و أبي عَمرٍ وَذِي النُّورَينِ *** السُتَحيي المستَحيَا البَهجِ
و أبي حَسَنٍ في العِلمِ إذا *** وافى بِسَحائِبِهِ الخُلُجِ

- **المقدمة:**

يتناولُ التّأليفُ الدِّي بيْن يدَيْ القارئ تَحقيقُ شرْحٍ على القَصيد المعروف **بالمُنْفرجة لابن النّحوي** و هو شرْحٌ جيِّدٌ حسَنُ العِبَارة يمتازُ بالإيجاز و الدِّقة و يقتَصِرُ على المعاني و غريبها أوّلاً ثم بالتَّلْميح على المواضيع و العُمُوميات الدِّينية التِّي يتعرض لها كالعقيدة والاشارات الصوفية.

و تمَّ تحقِيقُ نَصِّ هذا المَخْطُوط على نُسْخَة وحيدة من مكتبة الأزهر الشريف.

و قد اشتهرت القصيدة المنفرجة منذ القدم فأنشأ جمهورٌ من العُلماء والأدباء شروحًا عليها فمن ذلك "شرْحُ السَّريرة المُنْزَعِجَة بشرْحِ القصيدة المُنْفَرِجَة" **للبصروي** و"الأضواءُ البَهِجَة في إبراز دقائق المُنفرجة" **لأبي يحيى زكريا الأنصاري** و "التَّعليقة الوفية لشَرْح المنفرجة الجيمية" **لاسماعيل بن عبد الباقي اليازجي**......الخ، فيجيئ هذا الشَّرْح المحقق إضافةً الى ما سبق و يأتي في محلّه بسبَبِ الإختصار و الفوائد الجمَّة التِّي يحتويها.

- **ابن النحوي:**

أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف **بابن النحوي**، من مواليد مدينة **توزر** ، ولد سنة 433 هـ ثم استوطن مدينة القلعة (قلعة بني حماد) فنُسِبَ إليها .

طلب العلم على يد أبي زكرياء **الشقراطيسي** نسبة إلى قلعة **شقراطس** القريبة من قفصة (ت 466 هـ)، ثم رحل إلى **القيروان** فتتلمذ لأبي الحسن علي بن محمد الربعي المعروف **باللخمي** (ت 478هـ). وقد سأله عن سبب مجيئه إلى **القيروان** فقال لـه ابن النحوي: "جئت لأنسخ كتابك المسمى **التبصرة**، فأجابه الشيخ قائلاً: "إنّما تُريدُ أنْ تحملِنِي في كفِّك إلى المغرب ". وهي إشارة إلى أنَّ علمُه كلُّه في هذا الكتاب الدِّي هو عبارَةٌ عن تعليقٍ كبير على **"المدونة"**، وقد حكم عليه القاضي عياض بأنه مفيد حسن.

في حدود سنة 493 هـ غادر ابن النحوي **قلعة بني حماد** وهو ابن ستين سنة، متوجهاً إلى **سجلماسة** في ظروف غير واضحة. ولكن إقامته بسجلماسة لم تدم طويلاً، إذ سرعان ما اصطدم بأهلها. ولما شرع في تدريس أصول الدين وأصول الفقه بالمسجد، مرّ عليه أحد رؤساء المدينة وهو عبد الله بن بسام، فسأل باستخفاف عما يُقرئه أبو الفضل، فقيل له: أصول الدين وأصول الفقه. فقال: أرى هذا يريد أن يدخل علينا علوماً لا نعرفها، وأمر بإخراجه من المسجد. وقام أبو الفضل من مكانه ثم قال له: "أمتّ العلم أماتكَ الله ههنا".

اضطر ابن النحوي إلى ترك **سجلماسة** التي لم توفر له الجو المناسب لتبليغ رسالته العلمية، فلجأ بعد ذلك إلى حاضرة أخرى من حواضر المغرب وهي مدينة **فاس** التي نزل بها سنة 494 هـ. وقد استقر بها مدة ارتبط خلالها بالتصوف و الصوفية، و اشتغل بالتدريس فلزمه الطلبة وأخذوا عنه، منهم **أبو عمران موسى بن حماد الصنهاجي** قاضي الجماعة **بمراكش،** والصوفي **علي بن حرزهم** الذي أخذ عنه صبِيًّا، **وعيسى بن يوسف** من بيْتِ **بني الملجوم.** تصادَمَ ابنُ النحوي مُجدَّدًا مع الفقهاء في فاس بسبَبِ نزْعَتِه الصُّوفية، وعادَ إلى القلعة، يقول **ابن الزيات**: " ولما عاد أبو الفضل إلى القلعة أخذ نفسَه بالتَّقشُّف وهجَر اللَّيِّن من الثِّياب ولبَس الخَشِنِ من الصُّوف وكانت جُبَّتُه إلى رُكْبتَيه ".

قال **ابن الأبار** : " إنَّه كان عارفاً بأصولِ الدِّين والفِقْه يميلُ إلى النَّظر والإجتهاد ولا يَرَى التَّقليد " .

وقال عنه آخر: " وكان مُتَقَدِّماً في المعرفة بعلم الكلام وأصُولِ الفقه، منْ أهْلِ الفَضْل وعلى هُدَى السَّلَف الصَّالِح، ذا حظٍّ من الأدَبِ وقَرْضِ الشِّعْر ".

وعدّه **النقاوسي** من أئمة الإسلام وأعلام الدين، وذهب **القاضي ابن حماد** إلى حدِّ تشبيهه بالإمام الغزالي حينَ قال: "كان أبو الفضل ببَلَدِنا **كالغزالي** في العراق علْماً وعمَلاً ".

ويقول فيه **القاضي عياض**: "كان من أهل العلم والفضْلِ شديدِ الخوْف من الله – غالبٌ حالُهُ الحضُورُ معه تعالى – لا يقبَلْ من أحَدٍ شيْئًا، إنّما يتعش ممّا يأتيه من **توزر**".

،الأستاذ ر.كحيل، بوقادير /الجزائر 1437 جمادى هجرية و الله المستعان.

شرح القصيدة من مخطوطٍ نادرٍ لا يُعْلَمُ مؤلفه:

اشتَدّي أزمَةٌ تَنفَرِجي * قد آذَنَ لَيلُكِ بالبلَجِ**

الأزْمَةُ الشِّدَّة و آذَنَ أعلَم و ظهرَتْ علامَةُ ذلِك فيه، و البَلَجْ وُضُوح الصُّبْح و تَبيينُه و دُعاؤُه باشتدادِ الأزْمَة ليسَتْ مقصُودًا له و إنَّما مقصُودُه الإنفراجُ و لكِنْ لمَّا صحَّ عنْدَهُ أنَّ الإشتِداد سببُ الإنفراج دعَى به لأنَّه تابِعٌ له، و نحا نحْو الأثَر المأثور إذا إشتدَّ الأمْرُ فذلك أقربُ ما يكونُ للفَرَج.

و ظَلامُ اللَّيلِ لَهُ سُرُجٌ ***حتّى يَغشَاهُ أبُو السُرُجِ

السُّرُج هنا النُّجوم و أبو السُّرُج عنَى به الشمس لأنَّ أنوارها مستفادَةٌ منها فيما ذُكِر، و معنى البَيْت أنَّ الشِّدة إذا نزلت فلا بُدَّ في خلالها و أضعاف زمانها من لُطْفٍ يتخلَّل ذلك و رفقٍ ينساحُ إليه حتّى يأتي الله جلّ و على بالفَرَج التّام و النَّفَس العام، فإنْ قُلْتَ كيْف قُلْتَ: انّما عنَى الشَّمس بقوله أبو السُّرُج و الشمس مؤنث فوجب أن يقال أمُّ السُّرُج **فالجواب** أنَّه لم يرِدْ أبًا و لا أمًّا على الحقيقة لأنَّ أبا الإنْسِ أصلُه الذي منه و به الولد.

و سَحَابُ الخَيرِ لَهَا مَطَرٌ * فإذَا جَاءَ الإبَّانُ تَجي**

الإبَّانُ أبانُ الشيئ و أوانُه وقتُه الدّي يُوجَد فيه، و الضِّيقُ و السِّعَةُ لكلِّ واحد منهما وقتٌ لا يقدِرُ على استنقاذ نفْسِه من شدَّةٍ إنْ نزلَتْ به حتّى يجيئُ وقْتَ ذهابِها و انقضاءها المُقَدَّر لها، و هذِه اشارةٌ لطيفةٌ أشار بها إلى الأمْرِ بلُزُومِ الصَّبْر و انتضارِ فرَجِ الله عزَّ و جلَّ و سلُوكُ سبيلِ الرِّضى بقدَرِه حُلْوًا كان أو مُرًّا، فليعلَمْ العاقلُ أنَّه لا يأتيه إلاّ ما كُتِب له و لا يندَفِع عنْه إلا ما سبَقَ القَدَرُ باندفاعه عنْهُ و أنَّه لا حيلة في شيئ من ذلك و هذا مذهَبُ العارفين رضي الله عنهم.

و فَوائِدُ مَولانا جُمَلٌ *** لِسُرُوحِ الأنفُسِ والمُهَجِ

الفوائِدُ ما يُستفَادُ من الأشياء النّافعة في الدِّين و الدُّنيا، و جُمَلٌ كثيرة و سرُوحُ الأنفُسِ ما يُسْرَح منها في طلَبِ منفعة لمَعيشَة أو لمعادٍ و أصلُ السُّرُوح أنّه جمع سرْحٍ و هو لما للراعي كالبقر و الغنم و قال الله تعالى "**و حين تسرَحُون**" أي تسرحون مواشيكم في المرْعى بالغداة، و لمُهَجُ الأنْفُسُ وإنّما عطَفَ على الأنفُسِ لإختلافِ لفظيهما و قدْ تكونُ المُهجَةُ غيْر النَّفسِ قال و هي دَمُ القلْبِ و **المعنى** أنّ عطايا الله سبحانه جميلة و منِيحةُ جُودِه لطالبيها و مُبتَغيها، غيْر أنَّ ذلك جارٍ على تقدير الله و مشيئَتِه يُيَسِّرُها لمنْ يشاء و يمنَعُها ممَّنْ يشاء.

و لَها أرَجٌ مُحي أبَدا *** فاقصُد مَحيَا ذاكَ الأرَجِ
فلَرُبَّمَا فاضَ المَحيْا *** ببحُورِ المَوجِ مِنَ اللُّجَجِ

و هذا البيت بيَّنَ المعنَى الدّي فُسِّرَ في البَيْتِ قبلَهُ لأنَّه قال إذا اقتصرتَ على حقائِقِ الأشيَاءِ و ضربت فلرُبَّما فاض عليْك المَحيَا ببُحُورِ الموْج أي ببُحُورِ زاخرةٍ من الكرامات التّي تُطْلِعُك على حقائِقِ الأشياء و دقائقِها الغامضة على المُتشَاغِلين بأمُورِ الدُّنيْا التَّاركين لتِلْك و قيل تلْك المقامات، و اللُّجَجُ جمْعُ لُجَّة و هو مُجتَمَعُ ماءِ البَحْرِ و معظمه ذلك، ضرَبَ ذلك مثلاً لاتِّساع فواضِلِ الله و كثرَةِ ما في خزَائِنِ رحمَتِهِ من النِّعَم الفائِضَة على أوليَائِه.

و الخَلقُ جَميعاً في يَدِهِ *** فَذَوُو سَعَةٍ وَذَوُو حَرَجَ

الخلْقُ الموجُودات كُلُّها سوى القديم سُبْحانه و تعالى و قوله في يَدِه أيْ في يَدِ الله سُبْحانه، أيْ مُتَصرِّفون بمشيئَتِه فمنهُم ذو سَعَةٍ و منْهُم مُضيَّقٌ عليْه، أيْ منْهُم الواجد و منْهُم العَدِيم كما قال الله تعالى "**يَبْسُطُ الرِّزْق لمَنْ يشاء و يَقْدِرْ**" و هذا ظاهِرُه و يحتَمِلُ منْ جِهَةِ البَاطنْ أنْ يكون رمْزًا و تلويحًا أراد به أنَّ من الخَلْق منْ نورَّ الله قلبَه بالهداية إلى معرفَتِه و أنطَقَ لسَانَه بتَوحِيدِه و الإيمانِ به و بملائِكِتَه و كُتُبِه و رُسُلِه و اليَوْمِ الآخر، فهذا ذو السَّعَة كما قال الله تبارك و تعالى "**و زادَهُ بَسْطَةً في الجِسمْ و العِلْمِ**" و منْهُم منْ طَمَسَ الله بَصِيرتَه و أعمى

قلْبَه فلَمْ يَهْتَدِي لشَيْئٍ ممَّا تقدَّمَ ذكْرُه و لمْ يتيَسَّرْ له قَبُولَ الهداية و اللُّزُوم على العِمايَة فهذا هو ذُو الحَرَج قال تعالى "**فمنْ يُرِدْ أنْ يَهْدِيَه يَشْرَحْ صَدْرَه** "الاية.

و نزُولهُمْ و طُلُوعُهُمْ *** فعَلى دَرَكٍ وَعَلَى دَرَج

الدَّرَج إلى فوْق و الدَّرَك إلى أسفَلْ كما قيل الجنَّة درجَاتٌ و النَّارُ دركَاتٌ، و قولُه و نُزُولُهم و طُلُوعُهم يقول مراتبهم ما انحَطَّ و ما ارتَفَع على الوَجْهَيْن المذكورَيْن في البَيْت الدِّي قبْلَه، قبْل هذا، أمّا سعة الحال و ضيقِها أو سعَةَ الصَّدْر بانشِراحِه بالإسْلام و ضيْقِه و حَرَجِه بالكُفْر كلُّ ذلك في يد الله سُبحانه، أيْ تصرفُّه بمشيئتِه و قوله فعلى دَرَكٍ و على دَرَجٍ أي فبعضهُم هابطٌ على دَرَك و بعضُهُم صاعِدٌ على دَرَج، فالصّاعِدُ على دَرَج هو الفائِزُ المُهَنَّى و الهابِطُ على الدَّرَك هو الهالِكُ المُرْدَى، أيْ ذلِك لله بفضَائِلِه و قُدْرَتِه و مشيئَتِه.

و مَعائِشُهُم وَعَواقِبُهُم *** لَيسَت في المَشي عَلى عِوَج

المعَايشُ جمْعُ معيشَة و هي كُلُّ ما يُعَاشْ به، و العَوَاقِبُ أواخِرُ الأمُور، و العَوَجُ بفتْحِ العيْن في كُلِّ مُنتَصِبٍ، و العِوَجُ بكَسْرِ العَيْنِ فيما ليْس بمُنْتَصِب فهو ها هنا بكسر العيْنِ و **المعنى** معايشهم في الدُّنيا و عواقِبُهُم في الآخرة تمشي بفَضْلِ الله سُبْحانَه و تقْدِيرِه على فَهْمٍ قديمٍ و سنَنٍ مُستقيم يجري ذلك كلُّه مَجْرى القَدَرِ تابِعًا له لا يخرُجُ عنه دقيقة و لا يتعدّى حدَّه حقيقة.

حِكَمٌ نُسِجَت بيَدٍ حَكَمَت *** ثُمَّ انتَسَجَت بالمُنتَسج

الحِكَمُ جمْعُ حكْمَة و هو هنَا كلُّ فِعْلٍ جيئ به مُحْكَمًا على تقدير فاعلِه و ارادتِه و نُسِجَت نُظِمَت و أُدْخِل بعضُها في بعْضٍ و ضُمَّ بعضُها إلى بعْضٍ و **المعنى** أنّ هذه الأمور التّي تقدَّم ذِكْرُها منْ فعْلِ الله جلّ و على حِكَمٌ صدرتْ عنه و نُسِجَتْ و أُحكِمَتْ بتقْدِيرِه و **قولُه "بيَدٍ حكَمَتْ"** يُرِيدُ بيَدِ الله سُبْحانَه و تعالى أيْ بقُوّتِه و تقديره و قوله حكَمَتْ أيْ قَضَتْ و يحتَمِلُ أنْ يُرِيدْ بحكَمَتْ كانَتْ حكِيمَةً

في أفعالها يُقَال أَحْكَمْ في كذا أي كُنْ حكيمًا فيه و **قوله** انتسَجَتْ بالمُنْتَسَجِ يقولُ أنَّ المُنتَسَجِ الدِّي انتسَجَ بهَذِه اليَدِ، و هي مُنْتَسِجَة به أيْ مُتّصِلَة به، أيْ كُلُّ ذلك فيها و بها يتِمُّ و يتَّصِلِ و يدوم بقاؤُه و يجْرِي على نظَامِه، و هذه الإشارَةُ إشارَةٌ منْ إشارات العَارِفين و تَنْبِيهٌ من تنبيهات المُتَصوِّفين، يُرِيدُ أنّ كُلَّ حركَةٍ وسُكُونٍ في العالم يتَرَقَّى على التَّدرُّج، حتّى يَصِلَ إلى الله سُبْحانه فلا يُوجَد في العالم مُتَحرِّكٌ و لا ساكِنٌ و لا كائن إلاّ منْ فعْلِ الله تعالى جلّ و على، فالمُنْتَسَجْ عنَى به الأفعال يُقال نَسَجْتُ الشَّيْئَ فانْتَسَجَ كما يُقَال نَشَرْتُ الشَّيْئَ فانْتَشَرَ و كتَمْتُه فاكتَتَم و هو معنى قولُه جلَّ وعزَّ " **إنَّ الله يُمْسِكُ السَّماوات و الأَرْضَ أنْ تَزُولا**" الأية.

فَإذا اقتَصَدَت ثم انعَرَجَت *** فَبمقتصَدٍ وبِمُنعَرَجَ

الإقتصادُ التَّوسُّط و الإعتدالُ في سائرِ الأحوال، و الإنعراجُ الميْلُ عن القَصْد و **المعنَى** أنَّ هذه الأفعال المُتَقَدِّم ذِكْرُها إنْ اقتَصَدَت أو مالَتْ عنْ القَصدِ فهي جارِيةٌ على ما أرادَ الله سُبْحانَه و تعالى و قدَّرَهُ لها، فما أقتُصِدَ منها فكذالك أُرِيدَ به و ما انعُرِج منها فكذالك أُرِيدَ به و انَّما يُقال انعرجَتْ و مالَتْ بالإضافة الى مُرَادِ الخَلْقِ الدّين يُريدون أنْ تجري بحسَبِ أغراضِهِم، و هي كلُّها مائِلُها و مُقتَصِدُها بالإضافة إلى خالِقها جلَّ و على جارِيةٌ على السَّبيل الأقصَدِ الذي أجراها اليه، و المُقتصَد موضِعْ الإقتصاد و المُنْعَرَج موضِعْ الانعراج.

شَهِدتَ بِعَجائِبِهَا حُجَجٌ *** قامَت بِالأَمرِ عَلى الحِجَجِ

شهِدَتْ ما تلك الحِكَم المذكورة، أوّلاً هي عجيبُ الإتقانِ و لطِيفُ صُنْعِ الرَّحمان، حُجَجٌ أيْ أثَرٌ بيِّنَة كما تراهُ في الفَلَك المُحيط و سائِرِ الأفلاك منْ ترتيبِ الكواكب السيّارة السبعة على جريانها في الطُّلوع و السُّقوط و قَطْعِها في الإرتفاع و الهبوط و غير ذلك مما اشتمل عليه عالم الشّهادة الأكبر كالذي تراه في الإنسان خاصّة الذي جُمِعَ فيه حميعُ ما في العالم الصَّغير لاشتمَالِه على ما في العالَمِ الأكبر الدِّي مُحيط بالسّماوات و ما في فلَكِ القَمَر، فيقولُ شَهِدَتْ أثارُ

الصَّنْعة التَّي في كُلِّ مخلوقٍ من المخلوقات على وُجُودِ صانِع العَالَم سُبْحانه و كونَه حيًّا عالِمًا قادِرًا مُريدًا، و قامت تلْك الحُجَج التَّي هي الأثار المذكورة بالأمْر أو بأمْرِ الله سُبْحانُه أيْ باثباتِ وُجُودِه و تصرَّفِه بحكمَتِه بمخلوقَاتِه، فقامت تلْك على حُجَجِ الجاحدين فأبطل لائِحُها أدلَّة المُبْطلين و عطَّل واضِحُها شُبُه المُعامِين هذا على من روى الحُجَج بضمِّ الحاء و أما الذي روى الحِجَج على كسْرِ الحاء فيكونُ معناه أنّ الأثَر المذكورة التَّي سمّاها حججا قامت بالأمْرِ على مَرِّ الزَّمَان، أي ذلك موجودٌ فيها مستَمِرٌّ و الحِجَج بكسْرِ الحاء السِّنُون واحِدُها حِجَّة.

و رضاً بِقضَاءِ اللَهِ حجىً *** فعَلَى مَركُوزتِهِ فعُج

الحِجَى العقْلُ و اللُّبُ و الرِّضَى تلاقي المرْءُ ما يَرِدُ عليه بالقَبُول ومركُوزَة الشَّيْئ وسطُه على التَّحقيق و **المعنى** أنَّ الرِّضى بقضاء الله من مُوجِبات العقول و بمثل ذلك ورد الشرع بالمنقول و قوله فعلى مركُوزتِه فعج أي فعلى وسَط الرِّضى و الحجى الموجِبِ له فعُجْ أي فاعكُفْ عليه و قفْ عنده و لا تتعدَّ حدَّه .

و إذا انفَتَحَت أبوَابُ هُدى *** فاعجِل لِخَزائِنِهَا ولِج

يقولُ إذا لاحَ لبصيرتِك و انكشف لكَ عرْشٌ من الحقائق المطلوبة بالأعمال البدنية فبادِرْ إلى الإستدامة بالجدِّ في العمل و الإجتهاد في تصفِيَةَ القَلْب و تنقِيتِهِ منْ كدرات الدُّنيا و قَطْع علاقتها عنه حتَّى تكون كالدِّي انفتحَ له باب خزانةٍ فيها ما يُحِبُّ و يتمنّى، ولجَ فيها فأدرَك مطلَبَه و نال بُغيَتَه، والولوج الدخول، ضربَ ذلك مثَلاً لِتَصفيَةِ القَلْبِ و تزكية النَّفْسِ الى درْكِ الحقائق .

و إذا حاولتَ نِهايتَّها * فاحذَر إذ ذاكَ مِنَ العَرَج**

يقولُ لا ترُمْ الغاية القُصْوى و تَطّلُب النِّهاية منْ الوُقُوف على كُنْه الحقَائِق اذا أنصقْتَ مرآة قلبك و صفَتْ حتّى تجلَّتْ لك الحقائق و اطّلَعْت على الأسرار، فلا تَطلُب البَحْثَ عن كل حقيقة و تطمَعْ في انكشافِ كُلِّ دقيقة فيلحقَكَ حينئذٍ ما يلحَقْ الأعرَج إذا رام بُلُوغَ ما فوْقَ طاقَتِه، فيعودُ إلى النَّقيضِ كالخاسئ الحسير والهاء من قوله نهايتَها تَعُودُ على الأبواب، أي أبواب الهُدى المذكورة في البَيْت الذّي قبل هذا، و انفتاحُها و انكشاف الحقائق و ظُهورها في القلوب الصافية كما قيل و الله أعلَمْ.

لِتَكُونَ مِنَ السُبَاقِ إذا * ما جِئتَ إلى تِلكَ الفُرَج**

هذه اللاّم مُتَعلّقة بقوله و احذَرْ، يقُولُ اترُكْ طلبَ التّقَصِّي لتكون منَ السُّبَّاق فإنَّك إنْ طلَبْتَ النِّهاية عاد ذلك عليْك بالتّقصير، فلا تُعَدُّ منَ السّابقين من أهْلِ الطّريقة و لكِّن اسلُكْ القصْدَ و خلِّ بينَكَ و بيْنَ النِّهاية فُرَجًا، و الفَرَجْ السِّعَة لتكون إذا جيت إلى تِلْكَ الفُرَج التي بينَكَ و بيْنَ النّهاية مُمْكِنًا من الإطّلاع عليها و الإنهاء إليها و **المعنى** و الله سبحانه أعلَمْ أنَّ المُطَّلِعَ على تلْكَ الحقائِق في الدُّنيا و المُكاشَفَ بها إذا اقتصَدَ و لم يزَلْ في نقْسِه و لم يتعاطَى ما لا يَصلُح له منْ نحْو ما يُحْكَى عنْ بعض المُتقدّمين منَ الإشارة إلى أنفُسِهم بالمعانِي الغامضة عنْ الجمهور كقوْل منْ قال ليس في الجنَّة إلاّ الله و نحو ذلك من الإشارات إذا تجدَّدَ بعد الموت ظهَرَ بتِلك الغايات و أحرَزَ تِلك النّهايات باقتصَادِه و وُقُوفِه دُونَ النِّهاية غيْرِ هذِه ولا عجَبَ بها، و أنَّ منْ زَهَى في نقْسِه و تعَاطَى تِلْك الأشياء عادَت عليه بالتَّقصِير فلم يُمكَّن منها عند المُتَجَدِّد بعد الموت و الله أعلم .

فَهُنَاكَ العَيشُ وبَهجَتُهُ *** فَلِمُبتَهِجٍ ولِمُنتَهِجٍ

العيْشُ الحياة و بهجَتُه كلُّ شيئٍ حسَنٌ منظرُه و قوله فهُنَاك العيْشُ هناك إشارةٌ إلى الإقتصاد الدِّي نَدَبَ إليه يقول في تلْكِ النِّهاية الحياة الطَّيِّبة و بهجَتُها أيْ حُسْنُ منْظَرِها و هَذا يُقوِّي التَّأويل الدِّي تأوَّلنَا في البيْت قبْلَ هذا و قوله فلمُبْتَهج و لمُنْتَهج على التَّعجُّب و التَّغْلِيظ كأنَّه يَتعجَّب منها و يغبِطُها أمَّا المُبتَهج فهو الدِّي ترَكَ الدُّنْيا على فوصلَ و ابتهج بما وصلَ إليه فهو يُغْبَطُ بما قال كأنّه يقولُ طوبى له، سُقْيًا له، كرامة له، و أمَّا المنتهج فهو الدِّي سلَكَ مثل سبيل للمُنْتَهج الذي نقول له فهذا أيْظًا يُغْبَطُ سلوك النَّهْج الدّي سلَكَه صاحبُه لأنَّهُ يُؤدِّي به إلى مِثْلِ ما أدَّاه إليه صاحِبُه فكأنّه يقولُ طوبى لمُنْتَهج ذاك النَّهْج و سالكَ تِلْكَ الطَّريقة.

فَهِجِ الأعمَالَ إذا رَكَدَت *** فَإذا ما هِجتَ إذاً تَهِجِ

هذا البيت طريفٌ جدًّا و ذلِك يدلُّ على طرَبٍ و اهتزازٍ و ابتهَاجٍ و ارتهَاجٍ الى الرَّغْبَة في الأعمال و الإزدياد منْ تكَلُّفِ الإتقان و ذلِك أنَّه لما تعجَّب من المُبتَهج و المُنتَهج و غَبَطَهُما لحالِهما كأنَّه يراهما و يُشاهِدُ حالتيهما فاحتضَّ لذالك و قال يحضُّ على سُلُوك تِلْك المسالك، فهجْ الأعمال إذا ركدَتْ أيْ تحرَّكْ إذا أحسَسْت منْ نفْسِكَ فُتورًا، فتَحرُّكُها يُذكِّرُك حالة المُبتَهج و المُنتَهج كأنَّك حينئِذٍ تتحرَّكْ و تَهجْ لك نشاطًا و معنى و قوّة و معنى ركدَتْ سكنَتْ و **المعنى** إعمَلْ عملَهُما لتَكُنْ مثلهما.

و مَعاصِي اللّهِ سَمَاجَتُها *** تَزدَانُ لِذِي الخُلُقِ السَمِجِ

معاصي الله تعالى مُخالَفَتُه لأمْرِه و نهْيِه و السَّماجَة القُبْح و تزدان تتزيَّن و تتحسَّن و خُلُقُ الإنسان الدِّي خُلِقَ عليها و هي تجُرُّ به الى الفِعْل الجميل و القبيح و **المعنى** أن قُبْح معاصي الله تعالى و سماجَتِها تحسُنُ عند ذوي الجَهْلِ و الغباوة و المُعرضين عنْ طلَبِ الحقِّ الفاعلِين.

و لِطَاعَتِهِ وَصَبَاحَتِها *** أنوَارُ صَبَاحٍ مُنبَلِجِ

طاعةُ الله تعالى امتثالُ أمْرِه و نَهْيِه و الصَّبَاحة الحُسْنُ و الوضاءة و الأنوارُ جمْعُ نُور و مُنْبَلِج واضحٌ بيِّن و **المعنى** طاعة الله سبحانه نيِّرةٌ ظاهرةُ الحُسْنِ كظُهُور الصَّباح و وُضُوحِه فلا يخفى حُسْنُ موقعِها و مورود مشربها إلاّ على كُلِّ منْ أعمى الجهْلُ بصيرتَه و آثرَ زهرة الدُّنيا و شهوات نفسه .

مَن يَخطِب حُورَ الخُلدِ بها *** يَضفَر بالحُور وَبالغُنُج

يخطُبُ يطْلُبُ، و أصلُ الخِطْبة طَلَبُ التّزويج و استعارَهُ هاهنا، و الحُورُ جمْعُ حوراء و هي المرأة الحسناء البيضاء اللَّون البَضَّة الرّقيقة الشديدةُ سوادِ حدقَتِها النّاصعة بياضِ العيْنِ، و الخُلْدِ و الخُلُود البَقاء فسُمِّيَت الجنَّة خُلْدا لأنّها دارُ البقاء و قوله يظْفُرُ بالحُورِ و بالغُنُج كما تقول ظفِرتُ بفُلانٍ و بجماله و بعملِه و عملها و بهائِها فهذا انتقالٌ منها إلى الرُّتبة السُّفْلى منْ أهل الإرادة لأنَّه تقدَّم منْ كلَامِه، أو منْ كان مع أهْلِ الرُّتْبَة العُليا و هُم أربابُ القُلُوب الدِّين يُدْعَون العَارِفِين وهُم الدّين هِمَمَهُم في الإخلاص لذَاتِه سُبْحانَه لا لشيْئٍ ينالُونَه و لا لغَرَضٍ يطلُبُونه.

فكُنِ المَرضِيَّ لَهَا بِتُقىً *** تَرضَاهُ هوىً وتَكُونُ نَجِى

المرْضِي الذي يُرْضى، يقول كُنْ ممَّنْ يُرْضَى لها أي للحُور، و قوله بتُقَى أيْ اجعل مُهورَها تقوى الله عزّ و جلّ، و معنى ترضاه تجعَلْ الهوى ثِقلَك أي غرضَك و مُرادَك و معنى و تكون نَجِ أي تنجو منْ عذاب الله عزّ و جلّ و **المعنى** أنَّك إذا خطبْتَ الحُور بالتُّقَى و صيَّرْتَهُ غَرَضَك و هوَاك رضيْتَ لها و رضِيَتْ لك، و نجوت مع ذلك من عذاب الله عزّ و جلّ، و هو مُخاطبَةٌ لمَنْ تقدَّم ذِكْرُه من أهْل المرْتَبَة الثانِية.

و اتلُ القُرآنَ بِقلبٍ ذِي * حَزَنٍ وَبِصَوتٍ فيهِ شَجِي**

هذا تأدِيبٌ و تعلِيمٌ لمَنْ تقدَّم بالقرآن كيْفَ يصنَع في تلاوته أيْ يُشعِرْ قلبَه الحُزْن و الخِشْيَة و يُحْضِرْ ذهنَه ليَفْهَمَ معانيه و يُحْسِّنُ صوتَه ما استطاع، و الصَّوْتُ الشَّجِي المُتأثِّرْ و المُسْتَحسَنُ، و هذا مخاطبَةٌ لأهْلِ المرتبَة الثانية يأمُرُهُم باحسانِ الخِدْمَة و تَجويدِ الأعمال و إكمالها على أتَمِّ وُجُوهها لأنّها في مُقابلة مطلوباتها المُسْتَتّة، كما أمَرَ أصحاب المرتبة الأولى باتّقاء القُلوب و تصفيَتِها و تطهيرِ الّنفوس و تَزْكِيَتِها.

و صَلاةُ اللّيلِ مَسافتُها * فاذهَب فِيهَا بِالفَهمِ وَجِي**

المسافَةُ أصلْها البُعْدُ و مسافةُ صلاة اللّيْل التّي يُصلّي فيها و **المعنى** إذا قُمْت مُتَهجِّدا مُرتِّبًا التِّلاوة و تدبّرْ معانيها و تكرّره عليها، فاذْهَبْ متدبِّرًا في الأية مرَّةً و ارجع إليها أُخْرى لتَفْهم في المرَّة الثَّانية ما لم تفهَمْهُ في الأولى، هذا هو الظَّاهِرُ و يحتمل من صفَة النَّاظر أنْ يكون المعنى و صلاةُ اللَّيْلِ فكِّرْ في ذاتِها و استَحِبّ فِعْلَهَا و ما معنى اختصاص وقْتُ اللَّيْل بالقيام فيه و لِمَا سُمِّيَ قيامُ اللَّيْل احياء فيُقالُ فلانٌ يُحْيي اللَّيْل و شِبْهُ ذلك ممَّا شُرِّع إليه أهْلُ الرُّتْبَة العُلْيا و يَشكُرُهم في بَعْضِ أهْلِ الرُّتْبة السُّفْلى.

و تَأمَّلها وَمَعانِيهَا * تأتِ الفِردَوسَ وَتَنفرِج**

التَّأمُّل تحقيقُ النَّظَرْ و المعنى المقاصِدُ، و الفِرْدَوْسُ وسَطُ الجنَّة و أعلاها، و **المعنى** أنَّك إنْ تأمَّلْت صلاةَ اللَّيْل و معانِيها و ما يُرادُ بها و معانِي التِّلاوة فيها وأعدَيْتَ ذلِك على وُجُوهِه بحَسَبِ استطاعتِك فإنَّ ذَلِك سبَبٌ لدُخُولِك الجنَّة و تَنَعُمِّك بنَعِيمها، و يَحتَمِلْ أنْ يُريد أنَّ منْ تأمَّلَّ الأعمال البدنية و القَلْبية و تجرَّد لها و فَعَل الواجِبَ فيها كان ذلك سبيلاً لاطّلاعِه على الحقَائِقِ و انكشَاف الغِطاء عنْه حتّى يرتقِي إلى الرُّتْبَة العالِيَة فيَطَّفْ بأهلِها فيكون كمَنْ يرقى منْ خساسة دارِ الفَنَا إلى شَرَفِ دار البَقَاء، ضرَبَ ذلِك مثلاً لِمَا بيْن الرُّتْبَتيْن و الله أعلَم.

و اشرَب تَسنيمَ مفجَّرِها *** لا مُمتزِجاً وبَممتزِج

سنامُ كلِّ شيْئٍ أعلاه ، و تسنيم قيل إسمُ عيْن و قيل ما يَسنَم مكانًا عالِيًا أي يعلو و المُمتزِج أيْ المُختلِط و المُتفَجِّر المُنْسَكِب الكثير و **المعنى** أيْ اشرَبْ ما يُتفجَّرْ لك بعد التَّأمُّل منَ المعاني و ما يظهَرْ لك ممَّا يُفيضُه لك الفِكْرُ و الإستغراق و الإستبصار و الهداية ، أيْ فتَلَقَّ ذلك بالقَبول كما يتلقى الشَّاربُ العطشان الماء العذْبَ بقَبُول و قولُه مُمتزِجًا أيْ صرفًا خالِصًا و بمُمتزِج أي اشرَبْه مُمْتزِجًا أيضًا، أيْ اجمَعْ بيْن اللّذتيْن كما يجمَع الدِّي يشرب الشَّراب بيْن اللّذتيْن اذا شرب مرَّة صرفًا خالِصًا و مرّة ممزُوجًا و المعنى تفنَّنْ في ذلك ما أمكن و الله أعلم.

مُدِحَ العَقلُ الآتيهِ هُدىً *** وهَوىً مُتَولٍّ عَنهُ هُجى

العقْلُ ما تُدْرَكُ به حقائِقُ الأشياء و يُفْصَل به بينها، و سُمِّي عقْلاً لأنَّه يَعْقِل صاحِبَه عمَّا لا يحلُّ و لا يُحْمَد، و المعنى أنَّ العَقْل الدِّي يأتيه ما تقدَّم ذكرُه منَ الطَّاعات و أعمال النُّفُوس و إلاّ لكان مدْحُ أيْ شيئٍ عليه جيزَ، و الهوى المُتَولّي عن ذلك هُجِي أيْ ذُمَّ و شُتِم، و التَّولي الإعراضُ، و الهوى مَيْلُ النّفوسِ إلى الشّهوات و معنى الأتيه هُدًى الدّي يأتيه هذا الأمْرُ الدِّي هو الإقبال على الطَّاعات و العَمَل بها و معنَى هُدًى أي مُهْتَدٍ إليه.

و كِتَابُ اللّهِ رِياضَتُهُ *** لِعقُول الخلقِ بِمُندَرِج

عنَى بكتَابِ الله سُبْحانَهُ القرآنُ العظيم و ذَلِك أنَّه لمّا ذكرَ و زَجَرَ و وَعَظَ ونبَّهَ و أرْشَدَ إلى سبيَلِ الطَّاعات و الأعمال و تزْكيَة الأنفُس و تصْفِيَة القُلُوب، رجَعَ فأحال على كتَابِ الله عزَّ وجلَّ فقال إنَّ كتاب الله شاهِدٌ بجميع ما قُلْتُه و أرشدْتُ إليه و نبَّهتُ عليه يُوجد ذلِك فيه و يُستَخرَجُ منه و رياضةٌ أحسَنُ رياضة، أيْ تعليمُه و هدايتُه إلى الإقتداء به و اتِّباع ما تضمنَّه و جعْلُ ما في القرن العظيم من الأمْرِ و النَّهْي و الزَّجْر و المواعظ و الأمثال و الآداب رياضَةٌ، أيْ تعلِيمٌ و تهذِيبٌ لقول الخلق، و قولُه بمُنْدَرِج أيْ بطريقٍ واضحٍ يَدْرِج عليه أي يمشي

عليه و المَدْرِجُ الطَّريق و **المعنى** أنَّ كتابَ الله سُبْحانَه طَرِيقٌ واضِحٌ و هَدْيٌ مُيسَّرٌ لائِحٌ لمَنْ وُفِّقَ لفهمه و عقل معانيه.

و خِيارُ الخَلَقِ هُداتُهُمُ *** وَسِوَاهُم مِن هَمَجِ الهَمَجِ

خيَارُ الخَلْقِ أفضلُهُم، و الهُدَاةُ جمْعُ هادٍ، و الهَمَجُ سفلَةُ النَّاس و سُفهائِهم ممَّنْ لا عقْلَ له و لا ديَّانة و لا مُروءَة، و أصْلُ الهمج ضرَبَ ذلِك مثَلاً لمَنْ لا خيْرَ فيه، و هُدَاةُ الخَلْقِ منْ يُهْتَدَى به في فَضْلِه و دِينِه و علْمِه و أصْلُ الهَادِي الدَّالُ على المطلُوب و **المعنى** أنَّ خيْرَ النّاسِ منْ يدلُّهُم على ما فيه صلاحُهُم في مبْدَإِهم و معَادِهِم.

و اذا كُنتَ المِقدَامُ فَلا *** تَلْوِ في الحَرْبِ مِنَ الرَّهَج

المقدام الشُّجاع الدّي يتقَدَّم في المكارم و لا تهولُه العظائِمُ و الرَّهَجُ الغُبَار و معنى لا تَلْوِ لا تتَقَدَّمْ و لا تتَأخَّرْ، لوَيْتَ عنْ الشَّيْئِ ثنَيْتَ به، و منه قوله و لا تلوون و **المعنى** أنّك اذا تقدَّمْت في سِلْكِ السَّبيل الثّي تقدَّم ذكرُها ما فرأيْت ما يهولُك عنْ بُلُوغ غايَة ما تُحِبُّ منها فلا تجزَعْ لذلك و لا تخَفْ منه و أقدِمْ عليه حتّى تنَالَ بُغْيتَك كما يفعل الشُّجاعُ في الحرْبِ، إذّ رهْجُها غُبَارُها، لم يَهُلُه ذلك و لم ينْثَنِ حتّى يَرِدْها و يَظْفُرْ، ضرب الرَّهج مثلا لما يعرِض لخاطر المريد من تشويش الشَّيْطان فيقول له متّى تُدْرِك ما أُدْرِك فالنّار وهل يصِحُّ ذلك أو لا يصِحُّ .

و إذا أبصرَت مَنَار هُدىً *** فاظْهَرَ فَرْداً فَوقَ الثَبَج

المنارُ العَلَم يُنْصَبُ في الطَّرِيق ليُهتَدى به، و ثَبَجُ كلُّ شيْئٍ وسَطُه و أعلاه و **المعنى** أنّك إذا تقدَّمتَ و أقدمت و لم تلوِ منْ الرَّهَج الدِّي تقدَّم ذكْرُه لك علْمٌ منْ أعلامِ من الهدى، و أمارة تعرفْ بها أنَّك وصلْت إلى ما طلَبْتَ فاجتَهِدْ في الأسباب الموصُولة إلى الأمْنِ و الأعمال و الفكر و التَّجَرُّد و التَّجلي حتّى تضم فرْدًا فوقَ ثبَجْ تلُحْ الإمارة اللائحَة أيْ تظفُرْ منه بأعاليها و أشرافِها، و يحتَمِلْ

أنْ يُريد إذا رآه منْ يُقتَدى به في العِلْم و الإمارة برّ به و تحبَّب إليه حتى يكون الأقرَب إليه و الأخصّ به و الأحَضّ عندَه بلطائف ما عنْده منَ العِلْم و الحِكْمة.

و إذا اشتاقت نَفسٌ وَجَدَت*** ألَماً بالشّوْقِ المُعتَلِج

الشّوْقُ تحَرِّي النّفس إلى لقاءِ محبُوبِها، و الألَمُ الوَجْدُ و المُعتلج الشّديد **معناه** أنّ النّفْسَ إذا اشتاقَتْ الى مُطالعة حضرَةَ الرُّبُوبية بفِكرها في عظَمتها و جلالِها و جدَت لذالِك ألَمًا بشَوْقِها المُعتَلِجِ في حشاها، أيْ المُظطرِب الشّديد و يُقَالُ للرَّجُل الشّديد مُعتَلِجْ .

و ثنايا الحُسْنا ضاحِكَةٌ *** وَتَمامُ الضَّحِكِ علَى الفَلَج

و ثنايا الحُسْن، الثّنايا أرْبَعُ أسنان ثِنْيَتَان منْ فوق و ثِنْيَتَان من أسفل، و الفلَجُ تباعُد ما بيْن كُلِّ ثنْيَتَيْنْ عنها و الحُسْنى يُرادُ به ثواب الله تعالى و ما أعدَّه لأوليائِه من الكرامات عنْده، و استعَارُ الضَّحِك و الثّنايا الحُسْنَى ضَرْبُ مثَلٍ كأنَّه قال إنَّ ما أعدَّهُ الله لأوليائِه من جزيلِ ثوابِه كأنْ يفرَحُ و يسرُّ بهم و يبتهجُ بقدومهم كما يجد الانسان و يبتهج بقدوم حميمه عليه، و قوله و تمامُ الضَّحِكِ تمامُ ابتهاج ثواب الله تعالى عزّ و جلَّ و ضَحِكِه إلى أوليائه و سُرُوره بهم عدى رِضَى الله تعالى و ضحِكِه الدّي هو مُوجِبُ الثواب لهُم، كما أنّ تمام حال الضّحِك إنّما هو على حُسْنُ الضَّحِكِ و حُسْنُ الضَّحِكِ يكُونُ بفَلَج الثنايا، و كما أنّ رِضَى الله عزّ و جلّ الموجِبُ الضَّحِك ثوابه إلى الأولياء بمنزِلَة الثنايا الّتِي يكون بها الضَّحِك، كما أنَّ الثواب يكونُ برضى الله عزَّ و جلّ و هذا معنى دقيق غامضٌ جدًّا.

وعِيابُ الأسرَارِ قدِ اجتَمَعَت *** بأمانَتِها تحتَ الشَّرَج

جمْعُ عيْبة و هي صِوانُ الثِّياب الّتي تُرْفَعُ و تُقَلُّ فيه، الأسرار أسرار الله تعالى في خَلْقِهِ و ما استُتِرَ به ممّا لم يُطّلِعْ عليه إلاّ مَنْ شاء مِنْ أنبياءِه و أولياءِه المُقرَّبين يقول اجتمعت هن، و الأسرار بأمانتها في عيْبة أي مضمومة عليها و شرَج العيْبة مَضمُّها و مُجتمَعٌ بها حيث تجتمع عُراها و يُغْقَلُ عليها، فيقول أنّ الأسرار التّي أخفاها الله عزّ و جلّ و أستارٌ بها بَلا منتهى، و سُتِرت عنْ الخَلْق أوعِيتُها فلا يُطّلِعْ عليها الاّ منْ نوَّرَ اللهُ قلْبَه و فتَح عيْن بصيرتِه بِلُطْفٍ و هداية و ذالك يكون أوّلا منْ صفاء القَلْب و تنقِيَتِه و تطهيره و تزْكِيَتِه حتّى تتَجلّى فيه الحقائِقُ كما تجلو الصُّوَرُ في المرآة.

و الرِّفقُ يَدُومُ لِصَاحِبِهِ *** وَ الخُرْقُ يَصيرُ إلى الهَرَج

الرِّقْقُ اللَّيْنُ و الدِّعة و تَنَاوُلُ الأمُور من وجُوهها ممّا قدْ وَجَسْ تارةً و الخُرْقُ[1] العجلَةُ والطَّيْش و تَنَاوُلُ الأشياء من غيْر وُجُوهِها و الهَرَجُ كثرَةُ الفساد و الشّرِّ و الإختلاط، و المعنى أنَّ منْ سلَكَ في عملِه الرِّفْقَ و انتصَرَ فيه و أبْقَى على نفْسِه و لم يجْهدْها دام له عملُه و استمرَّ عليه و من عنَّفَ على نفْسِه و كلَّفَها فوْقَ طاقَتِها صار إلى الإنقطاع.

صَلَوَاتُ اللَهِ عَلَى المَهدِيِّ *** الهادِي الناسِ إلي النَّهَج

بعد أنْ قضى حاجَتَه رحِمَه الله ممَّا قصَد منَ الإشارة و التّلويحات و التّنبيهات و إعطاء القوانين في الأعمال النَّفسانية و الجسمانية خَتَم ذلك بالصَّلاة على النبي صلى الله عليه و سلم و سمَّاه و وصفه بأنّه هادِي مهدِي و قد وصفَه الله تعالى بهذا في أمِّ كتَابِه "**و انَّك لتَهْدِي إلى صراطِ ُمستَقِيمٍ** ".

---

1 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ : قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليْهِ وآله وسلَّمَ: **الرِّفْقُ يُمْنٌ، وَالْخُرْقُ شُؤْمٌ**.